المحاضرة رقم :07

قصيدة التفعيلة في الجزائر

السنة ثانية

دراسات أدبية

الأستاذ:موسى مبرك

قصيدة التفعيلة في الجزائر :

الشعر الحر الجزائري في بواكره الأولى هي الأرض البكر التي رعت و بلورت الحركة الشعرية إذ شهدت نموا و تطورا و ما القصائد الحرة الأولى إلا براعم يانعات نشأت في زمن الشتات.و جابهت بعباراتها الحماسية المستعمر الفرنسي هذا الأخير الذي عطل حصول الشاعر على آليات الترجمة و تأليف الكتب التي توفر لأقرانه في المشرق بالرغم من النداءات المبكرة التي رفعها (رمضان حمود) في العشرينيات للأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية،و النهوض بالأدب العربي عن طريق الترجمة فإن طابع القطيعة كان و لا يزال يفوض نفسه على الثقافة العربية و الفرنسية في الجزائر.

و من الآثار التي تركها رمضان حمود وهي على منوال الشعر الحر (يا قلبي) التي نبدو محاولة جدية للتخلص من الوزن و القافية و لعل هذا ما جعله يقول :"الوزن و القافية أغلال حديدية تكبل الشعر الحر،ولا تطوره،و غاية أمرها تحسينات لفظية اقتضاها الذوق و الجمال"و مهما يكن من أمر فإن رمضان حمود استطاع أن يحدث نمطا جديدا في الموسيقى الشعرية.

و هذا جزء من قصيدة (يا قلبي) :

و نصيبك من الدنيا الخيبة و الحرمان

انت يا قلبي تشكو هموما كبارا و غير كبار

انت يا قلبي مكلوم و دمك الطاهر يبعث به الدهر الجبار

ارفع صوتك للسماء مرة بعد مرة

وقل اللهم إنّ الحياة مرة

اعني اللهم على اجتراعها

هذا إحساس ذو طابع مختلف إلى حد ما عن القصيدة العمودية ينظاف إلى ذلك قول أبو القاسم سعد الله "كنت أتابع الشعر الجزائري الحر عند 1947 باحثا فيه عن نفحات جديدة و تشكيلات تواكب الذوق الحديث و لكني لم أجد سوى صنم يركع أمامه كل الشعراء بنغم واحد،و صلاة واحدة،غير أن اتصالي

بالنتاج الأدبي و المدارس الفكرية و النظريات النقدية حملني على تغيير اتجاهي و محاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر".

انطلاقا مما قاله المؤرخ (سعد الله) يمكن أن نلاحظ احد أسباب ظهور الشعر الحر في الجزائر هو الاحتكاك بالمشرق،و اطلاع بعض الشعراء على هذا اللون الشعري الجديد من خلال دراستهم في كل من مصر و لبنان.

أما العالم الهام الذي دفع شعراء الجزائر إلى الشعر الحر هو الثورة،فبانطلاق الرصاصة الأولى للثورة في أول نوفمبر فانطلقت التجربة الشعرية الجديدة مع انطلاق الثورة.

كما ربط "يوسف ناوري" بداية الشعر الحر في الجزائر بعامل آخر و هو العامل النفسي.

و قصيدة (طريقي) أول قصيدة حرة في مشوار قصيدة التفعيلة في الجزائر ل (أبي القاسم سعد الله) التي نشرها في البصائر في 25 مارس 1955 و هي من تفعيلات بحر الرمل،و يعبر فيها عن التغيرات الجذرية التي طرأت على البلاد من ثورة و كفاح و جهاد،و هذا بعض منها :

يا رفيقي

لا تلمني عن مروقي

فقد اخترت طريقي!

وطريقي كالحياة

شائك الأهداف مجهول السمات

عاصف التيار وحشي النضال

صاخت الأنات عربيد الخيال

كل ما فيه جراحات تسيل

وظلام و شكاوي و وحول

تتراءى كطيوف

من حتوف

في طريقي

يا رفيقي...

قد لقيت قصيدة (طريقي) قبولا و استحسانا لدى الشعراء فتوالت القصائد الحرة،و هذا أبو القاسم خمار بقصيدته (الموتورة) من ديوانه (أوراق) و التي يصف فيها حال لاجئة فلسطينية و تفعيلاتها من بحر المتقارب و جاءت على ثمانية مقاطع و هذه بعض مقاطعها و التي نظمها و هو في سوريا و بالتحديد في حلب 1954 :

كحبل وريــد . .

قريب . . بعيــد . .

هناك من خيمة نازحة

إلى جانب قرية نائحة

هنالك خلف القبور العراة

بين المآسي ، لفح السراب

بدت عائدة

بقبضتها كمشة من تراب

تزاحمها صخرة صامتة

و قد هتفت بريق عجيب

كلون اللّهيب . .

كلحن الألم

إلام . . الشّقاء . . ؟

لماذا تحاربني يا زمان . . ؟

أمّا فيك إشراقة أو حنان . .؟

أما محمد عبد القادر الأخضر السائحي فأول قصيدة قالها في هذا النمط الشعري تحت عنوان (حنين).

مراجع المحاضرة :

1- صلاح فضل :أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1998